٢٣- ﴿ مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض ﴾!

آخر غزوات النّبيّ ﷺ غزوة تبوك الّتي كانت في السّنة التاسعة من الهجرة في شهر رجب[١] وقد عاد النّبيّ ﷺ من تبوك في شهر رمضان المبارك[٢] وتبوك بالفتح ثمّ الضّمّ وواو ساكنة وكاف: موضعٌ بين وادي القرى والشام[٣] إلى الشمال من المدينة المنوّرة. وبين تبوك والمدينة اثنتا عشرة مرحلة[٤] وكان سببها أنّ النّبيّ ﷺ بلغه أنّ هرقل ملك الرّوم ومن عنده من متنصّرة العرب قد عزموا على قصده، فتجهّز هو والمسلمون وساروا إلى الرّوم[٥]وكان جيش المصطفى ﷺ ثلاثين ألفاً[٦]وكان الوقت صيفاً، شديد الحرارة، يميل النّاس فيه إلى البقاء حيث الخضرةُ والظِّلال، ويكرهون الخروج من أجل تلك الأسباب ، خاصّةً وقد طابت الثّمار وراقت الظّلال.

وقد بيّن النّبيّ ﷺ للنّاس قصده وعيّن وجهته، خلافاً لعادة النّبيّ ﷺ بشأن كلّ غزواته الأُخَر حينما يعيّن غير الوجه الّذي إليه يقصد،كي يباغت العدوّ ويأخذه على غِرّة[٧] .

وبسبب ظروف غزوة تبوك الصّعبة أرسل النّبيّ ﷺ رسله إلى الكثير من الأصقاع كي ينفروا معه إلى الغزو[٨]كما حثّ المسلمين على النفقة في سبيل الله

---

[١] انظر السّيرة النّبويّة ٢/٤٣٧ والكامل في التّاريخ ٢/٢٧٤و٢٧٦ معجم البلدان:" تبوك" والفصول في سيرة الرسول ٢١٠.

[٢] الكامل في التّاريخ ٢/٢٨٢والفصول في سيرة الرّسول ٢١٢.

[٣] معجم البلدان :" تبوك "

[٤] معجم البلدان :" تبوك "

[٥] الكامل في التّاريخ ٢/٢٧٧وانظر نور اليقين ٢٦٩.

[٦] الفصول في سيرة الرّسول٢١٠.

[٧] انظر السّيرة النّبويّة ٢/٤٣٨ والكامل في التّاريخ ٢/٢٧٧ والفصول في سيرة الرّسول ٢١٠.

[٨] انظر الفصول في سيرة الرّسول ٢١٠ ونور اليقين ٢٦٩.

تعالى[1] فأنفق عثمان بن عفّان ﷺ عشرة آلاف دينار، وأعطى ثلاثمائة بعير بِأحْلاسها وأَقتابها[2]وخمسين فرساً، فقالﷺ : اللّهمّ ارض عن عثمان فإنّي راضٍ عنه. وجاء أبو بكر ﷺ بكلّ ماله، وهو أربعة آلاف درهم. فقال ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. وجاء عمر بن الخطّابﷺ بنصف ماله. وجاء عبدالرّحمن بن عوف ﷺ بمائة أوقيّة[3]وهكذا. وأرسلت النّساء بكلّ ما يقدرن عليه من حليّهنّ[4].

وتخلف منافقون كفراً وعناداً، وكانوا نحو الثّمانين رجلاً[5]وقد خرج معه عبدالله بن أبيّ ابن سلول رأس النّفاق، ثمّ رجع من أثناء الطّريق[6]واعتذر بعض المنافقين عن الخروج بسبب شدّة الحرّ[7]وبعضهم بزعمه أنّه يخشى على نفسه عدم الصّبر عن النّساء الرّوميّات المعروفات بالجمال[8]والسَّبَبُ الحقيقيّ هو داء النِّفاق.وبعضهم ثبّط الآخرين عن الجهاد في سبيل الله تعالى.

على أنّ بعض الّذين تخلّفوا من أولى الأعذار الحقيقيّة، وبعضهم تخلّف عن غير شكّ ولا ارتياب، حتّى عاد رسول الله ﷺ من تبوك[9]وهم الثّلاثة الّذين تخلّفوا وتابوا إلى الله تعالى ، فتاب الله تعالى عليهم. وهم كعب بن مالك ﷺ أخو بني سَلِمة من الخزرج، ومُرارة بن الرّبيع ﷺ أخو بني عمرو بن عوف من

---

[1] انظر الكامل في التّاريخ ٢/٢٧٧ والسّيرة النّبويّة ٢/٤٣٩ ونور اليقين ٢٧٠.

[2] أحلاس ، جمع حلس بكسر الحاء وسكون اللّام : كلّ ما ولي ظهر الدّابّة تحت الرّحل والقَتَب والسَّرْج . والقَتَب : الرّحل الصّغير على قدر سنام البعير.

[3] نور اليقين ٢٦٩.

[4] نور اليقين ٢٧٠.

[5] الفصول في سيرة الرّسول ٢١١.

[6] الفصول ٢١١ وانظر السّيرة النّبويّة ٢/٤٤٠.

[7] انظر السّيرة النّبويّة ٢/٤٣٨.

[8] انظر السيّرة النّبويّة ٢/٤٣٨.

[9] انظر السّيرة النّبويّة ٢/٤٤٠.

الأوس، وهلال بن أميّة ﷺ، أخو بني واقفٍ من الأوس[1]وكعب بن مالك عَقَبِيّ[2]ومُرارة بن الرّبيع وهلالُ بن أميّة بدريّان[3].

واستعمل النّبيّ ﷺ على المدينة محمّد بن مسلمة الأنصاريّ[4]وخلّف عليّ بن أبي طالب على أهله وأَمَرَه بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلّفه إلاّ استثقالاً له وتخفّفاً منه. فلمّا قال ذلك المنافقون أخذ عليّ بن أبي طالب ﷺ سلاحه ثمّ خرج حتّى أتى رسول الله ﷺ وهو نازِلٌ بالجُرْفِ[5] فقال: يا نبِيّ الله. زعم المنافقون أنّك إنّما خَلَّفْتَنِي أنّك استثقلتني وتخفّفت مني. فقال: كَذَبُوا. ولكنّني خَلَّفْتُك لما تركْتُ ورائي، فارْجِعْ فاخْلُفْنِي في أهلي وأهلك. أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مِنّي. بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنّه لا نَبِيَّ بعدي. فَرجع عليٌّ إلى المدينة. ومضى رسول الله ﷺ على سفره[6].

وقد لحق بالنّبيّ ﷺ بعض الّذين تأخّروا في المدينة المنوّرة أو في الطّريق. وقد كان لَحاقُهُمْ مبعث رضا النّبيّ ﷺ عنهم وسعادته بهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وفي أثناء الذّهاب إلى تبوك والعودة منها ظهر علي يد النّبيّ ﷺ الكثير من المعجزات، وبخاصَّةٍ ماله عَلاقةٌ منها بالطّعام والشّراب: " فبلغ ﷺ تبوك وفيها عين تَبِضّ[7] بشيءٍ من ماءٍ قليل، فكثرت ببركته. مع ما شُوهِد من بركة دعائه في هذه الغزوة من تكثير الطّعام الّذي كان حاصلُ الجيش جميعه منه

---

[1] انظر السّيرة النّبويّة ٢/٤٤٠ وفتح الباري ٨/١١٩و ١٢٠.

[2] انظر السّيرة النّبويّة ١/ ٤١٩.

[3] انظر – مثلاً – فتح الباري ٨/١١٤ حديث رقم ٤٤١٨.

[4] السّيرة النّبويّة ٢/٤٤٠.

[5] الجرف بالضّمّ ثمّ السّكون : موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

[6] السّيرة النّبويّة ٢/٤٤٠

[7] تَبِضّ : ترشح.

مقدار العَنْز الباركة. فدعا الله عزّ وجلّ فأكلوا منه، وملأُوا كلّ وعاءٍ كان في ذلك الجيش. وكذا لمّا عطشوا دعا الله تعالى فجاءت سحابة فأمطرت فَشَربُوا حتّى رَوُوا واحتملوا، ثمّ وجدوها لم تجاوز الجيش. ومن آياتٍ أُخَر كثيرة احتاجوا إليها في ذلك الوقت"[1]ومن ذلك إيحاء الله تعالى للنّبيّ ﷺ بموضع ناقته الّتي ضّلت فوجدوها كما أُوحِيَ إليه ﷺ في ذلك الوادي في شعب بعينه قد حبستها شجرةٌ بِزِمامها[2]إلى غير ذلك من آيات ومعجزات. ورغم كلّ هذه المعجزات فإنّ المنافقين لا يَزْدادُون إلاّ عمى بصيرةٍ والعياذ بالله.

وصل النّبيّ ﷺ إلى تبوك فلم يلق كيداً فقد فرّ هرقل بجيشه. وقد عقد النّبيّ ﷺ في تلك الغزوة الكثير من معاهدات الصّلح مع الحكّام النّصارى،وفرض الجزية، كما أنّه ﷺ بعث خالد بن الوليد ﷺ إلى ملك دُومة الجندل النّصراني، وهو أُكَيْدِر بن عبد الملك، رجلٌ من كندة كان ملكاً عليها، وكان نصرانيّاً، فقال رسول الله ﷺ لخالد: إنّك ستجدهُ يصيد البقر[3]فكان الّذي ذكره ﷺ. وهذا من معجزاته عليه الصّلاة والسّلام. وفي تلك اللّيلة المقمرة أرسل الله تعالى لذلك الملك البقر الوحشيّة الّتي باتت تحكّ بقرونها باب القصر، فخرج الملك في بعض حاشيته ليصطادها، فاصطاده خالدٌ ﷺ وجيشُه، وأسره وقتل أخاً له اسمه حسّان[4].

ثمّ إنّ خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقَن له دمه[1]فأسلم أكيدر وصالح النّبيّ ﷺ على أرضه وكتب له ولأهل دُومة كتاباً[2].

---

[1] الفصول في سيرة الرّسول ٢١١.

[2] انظر السّيرة النّبويّة ٢/٤٤٣.

[3] السّيرة النّبويّة ٢/٤٤٦.

[4] انظر السّيرة النّبويّة ٢/٤٤٦.

[1] السّيرة النّبويّة ٢/٤٤٦.

[2] انظر معجم البلدان :" دومة الجندل " وثمّه صيغة الكتاب الّذي كتبه ﷺ لملك دومة الجندل.

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلةً ولم يجاوزها، ولم يقدم عليه الرّوم والعرب المتنصّرة[٣]وقد أفزعهم دنوّه ﷺ منهم[٤].

ولمّا لم يكن لدى النّبيّ ﷺ وحيٌ بمواصلة السَّيْر والتَّوَغُّل، وحينما استشارﷺ أولى الرّأي وفي مقدّمتهم عمر ﷺ[٥] فأشاروا بالرّجوع وعدم التّوغّل في ديار القوم، فإنه عليه الصّلاة والسّلام عاد إلى المدينة المنوّرة وكان ذلك في شهر رمضان المبارك[٦].

وقد أنزل الله تعالى في غزوة تبوك عامّة سورة التّوبة[٧]المدنيّة الكريمة. وهي من آخر مانزل عليه ﷺ من قرآنٍ كريم[٨].

وهذا تفسيرٌ موجزٌ للآيات الكريمات من سورة التّوبة الّتي نزلت في غزوة تبوك . قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾

يا أيها الّذين آمنوا بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّدٍ ﷺ نبيّاً ورسولاً، وبالقرآن الكريم منهجاً، مالكم، وأيّ شيءٍ أَمْرُكُمْ[١]وما الّذي جرى لكم ودهاكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله تعالى، ولبّوا نداء الجهاد بالخروج

---

[٣] الكامل في التاريخ ٢/٢٨١.

[٤] نور اليقين ٢٧٣.

[٥] انظر نور اليقين ٢٧٣.

[٦] الفصول في سيرة الرّسول ٢١٢.

[٧] الفصول في سيرة الرّسول ٢١٢.

[٨] الإتقان ١/٤٣.

[١] تفسير الطّبري ١٠/٩٣.

من منازلكم إلى مغزاكم[٢]تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها[٣]وأصل اثّاقلتم تثاقلتم ، ثمّ قلبت التّاء ثاء للإدغام بعد سكونها وزيادة همزة الوصل لمناسبة السّكون[٤]أرضيتم بالحياة الدّنيا ومتاعها الزّائل عوضاً من نعيم الآخرة[٥]المقيم وبدلاً من الآخرة[٦]والهمزة من:﴿ أرضيتم﴾ همزة استفهام للتّوبيخ[٧] فما متاع الحياة الدّنيا من الآخرة وبدل نعيمها[٨] إلاّ نزرٌ يسيرٌ في جنب متاع الآخرة[٩]

﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾

إن: حرف شرط جازم. لا : نافية . تنفروا: مضارع مجزوم فعل الشّرط وعلامة الجزم حذف النّون. والواو فاعل. يعذّب: مضارع مجزوم جواب الشّرط[١].

إلاّ تنفروا أيّها المسلمون لغزو الرّوم[٢] يعذّبكم الله تعالى عذاباً أليماً، ويستبدل بكم قوماً غيركم يلبّون نداء الجهاد في سبيل الله تعالى ولا تضرّوا الله

---

[٢] تفسير الطّبري ٩٣/١٠.

[٣] تفسير الطّبري ٩٤/١٠.

[٤] الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٨٩/٥.

[٥] تفسير الطّبري ٩٤/١٠.

[٦] تفسير ابن كثير ٩٤/٤.

[٧] الجدول في إعراب القرآن وصرفه٢٨٩/٥.

[٨] الجلالين.

[٩] الجلالين.

[١] الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٩٠/٥.

[٢] انظر تفسير الطّبري ٩٤/١٠.

تعالى، فإنّه عزّ وجلّ الغنيّ وأنتم أيّها النّاس الفقراء إلى الله تعالى. واللهُ تعالى على كلّ شيءٍ قديرٌ فلا يعجزه عزّ وجلّ شيءٌ في الأرض ولا في السّماء.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

أيّها المسلمون إلاّ تنصروا محمّداً ﷺ في ساعة العُسْرَة وفي غزوة تبوك فقد نصره الله تعالى في ساعةٍ أشدَّ عسراً، وموقف أشدَّ صعوبةً إذ أخرجه عليه الصّلاة والسّلام من مكّة المكرّمة الّذين كفروا وهو واحدٌ من الاثنين[٣] أمّا الثّاني فإنّه أبو بكر ﷺ، إذ هما في غار جبل ثور إلى الجنوب من مكّة المكرّمة[٤] إذ مكثا به ثلاثة أيّام [١]ثمّ اتّجها شمالاً إلى المدينة المنوّرة،إذ يقول محمّدﷺ لصاحبه أبي بكر ﷺ لا تحزن إنّ الله معنا بالنّصر والتأييد.

عن أنسٍ ﷺ قال : حدّثني أبو بكرﷺ قال: كنت مع النّبيّ ﷺ في الغار، فرأيت آثار المشركين، قلت يا رسول الله، لو أنّ أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: ما ظنّك باثنين اللهُ ثالِثُهُما[٢]فأنزل الله تعالى سكينته وطمأنينته عليه ﷺ ، وأيّده وأعانه بجنودٍ من الملائكة لم تروها. وجعل الله تعالى كلمة الّذين كفروا وهي

---

[٣] انظر تفسير الطّبري ٩٥/١٠.

[٤] انظر تفسير الطّبري ٩٥/١٠ وتفسير ابن كثير ٩٥/٤.

[١] تفسير ابن كثير ٩٥/٤.

[٢] فتح الباري ٣٢٥/٨ حديث رقم ٤٦٦٣.

الشّرك[٣]السُّفْلى، وكلمة الله تعالى وهي لا إله إلاّ الله[٤] هي الكلمة العليا. والله تعالى عزيزٌ في ملكه، حكيمٌ في صُنْعِهِ.

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

هُبُّوا أيُّها المؤمنون للجهاد في سبيل الله تعالى خِفافاً وثِقالاً، شَباباً وشِيباً، صِغاراً وكِباراً، أغنياءَ وفقراء. فِي حال اليسر وفي حال العسر وفي كلّ الأحوال. جاهدوا أيُّها المؤمنون في سبيل الله تعالى بأموالكم وأنفسكم.

ذلكم الجهاد في سبيل الله تعالى خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون فائدة الجهاد العظيمة، وعاقبته الحميدة.

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

لو كان الّذي تدعو إليه يا محمّد أولئك القاعدين عَرَضاً قريباً، وغنيمةً قريبةً[١]وسفراً قاصداً، وموضعاً قريباً سهلاً[٢]لاتّبعوك ولكن بَعُدَتْ عليهم الشّقّة،ونأت المسافة إلى الشّام[٣]وسيحلفون بالله لكم إذا رجعتم إليهم[٤]لو استطعنا الخروج لخرجنا معكم إلى تبوك. يهلكون أنفسهم ويوردونها موارد

---

[٣] تفسير ابن كثير ٤/٩٦.

[٤] تفسير ابن كثير ٤/٩٦.

[١] تفسير ابن كثير ٤/٩٩.

[٢] تفسر الطّبري ١٠/٩٩.

[٣] تفسير ابن كثير ٤/٩٩.

[٤] تفسير ابن كثير ٤/٩٩.

العطب،ويورثونها سخط الله، ويكسبونها أليم عقابه[٥]والله تعالى يعلم إنّهم لكاذبون في أعذارهم وفي كلّ أقوالهم.

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

عفا الله عنك يا محمّد ويا أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم لِمَ أَذِنْتَ للمنافقين بالقعود وسَمَحْتَ لهم بالبقاء في المدينة المنوّرة وهم الّذين قال بعضهم لبعض: استأذنوا رسول اللهﷺ فإن أَذِنَ لكم فاقعدوا وإن لم يأذن لكم فاقعدوا[٦]إنّك يا محمّد لو لم تأذن لهم بالقعود لتبيّن لك الّذين صدقوا في العذر وتعلم الكاذبين فيه[١]وإنّك بإعطائهم الإذنَ في القعود قد اختلطوا بذوي الأعذار الصّادقة.

﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ

---

[٥] تفسير الطّبري ٩٩/١٠.

[٦] تفسير الطّبري ١٠٠/١٠.

[١] الجلالين .

سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾

لا يستأذنك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم عن الخروج معك للجهاد في سبيل الله تعالى الّذين يؤمنون بالله تعالى ربّاً وباليوم الآخر يوم الجزاء في التّخلّف عن[٢] أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم. والله تعالى عليمٌ بالمتّقين الّذين لا يتخلّفون عن الجهاد في سبيله عزّ وجلّ.

إنّما يستأذنك يا محمّد في القعود عن الجهاد الّذين لا يؤمنون بوحدانيّة الله تعالى ولا باليوم الآخر وشكّت[١]قلوبهم وارتابت فهم في شكّهم متحيّرون، وفي ظلمة الحيرة متردّدون، لا يعرفون حقّاً من باطل[٢].

ولو أراد أولئك المنافقون الخروج معك يا محمّد للجهاد لأعدّوا له عدّةً، ولكن كره الله تعالى انبعاثهم وخروجهم[٣]فثبّطهم، وثقّل عليهم الخروج[٤] وصعّبه عليهم فقعدوا وقيل لهم اقعدوا مع القاعدين من أولى الأعذار وغير أولى الأعذار من المنافقين أمثالكم.

لو خرج أولئك المنافقون معكم واندسُّوا فيكم مازادوكم إلاّ خبالاً وفساداً وضُرّاً[٥]ولأوضعوا خلالكم، ولأسرعوا بالفساد بينكم ،وتثبيط عزائمكم،

---

[٢] الجلالين.

[١] الجلالين .

[٢] تفسير الطّبري ١٠١/١٠.

[٣] تفسير الطبري ١٠١/١٠.

[٤] تفسير الطبري ١٠١/١٠.

[٥] تفسير الطبري ١٠١/١٠.

وتفتير هممكم، يبغونكم الفتنة، وبثّ الفرقة بإلقاء العداوة[٦] بينكم. وفيكم أيّها المؤمنون سمّاعون لهم،آخذون ما يقولونه مأخذ النّصيحة وهو عين الغِشّ.والله تعالى عليمٌ بالظّالمين،فلا يخفى عليه جلّ وعلا شيءٌ من أفعالهم وأقوالهم ونواياهم.

لقد ابتغوا الفتنة يا محمّد من قبل وذلك على غرار انسحاب عبدالله بن أبيّ ابن سلول شيخ المنافقين بجيشه قبل معركة أحد، وها هو ذا يكرّر في تبوك الفعلة الشّنيعة ذاتها[٧] وقلّبوا لك يا محمّد الأمور،وأجالوا فيك وفي إبطال الذّي بعثك به الله الرّأي بالتّخذيل عنك وإنكار ما تأتيهم به، وردّه عليك[١] حتى جاء الحقّ ونصر الله[٢] وظهر أمر الله ودينه الَّذي أمر به وافترضه على خلقه وهو الإسلام[٣] وهم كارهون، والمنافقون مبغضون لكلّ خيرٍ للإسلام وأهله.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

جاء في سبب نزول الآية الكريمة[٤] أنّ رسول الله ﷺ حينما كان يستعدّ لغزو الرّوم قال في أحد الأيّام للجَدِّ بن قيس أحد بني سَلِمَة: يا جَدّ، هل لك العام في جِلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله أَوَتأْذَنُ لي ولا تفتنيّ ؟ فوالله لقد عرف قومي أنّه مامن رجلٍ بأشدَّ عُجْباً بالنّساء مِنّي. وإنّي أخشى إن رأيت نساء

---

[٦] الجلالين.

[٧] انظر تفسير الطّبري ١٠/١٠١و١٠٢و١٠٤ وتفسير ابن كثير ٤/١٠٠والسيّرة النّبويّة ٢/٥٧و٢/٤٤٠.

[١] تفسير الطّبري ١٠/١٠٣.

[٢] تفسير الطّبري ١٠/١٠٣.

[٣] تفسير الطّبري ١٠/١٠٣.

[٤] انظر السّيرة النّبويّة ٢/٤٣٨ وأسباب النّزول للواحدي النّيسابوري ٢٨٤ وتفسير الطّبري ١٠/١٠٤ وتفسير ابن كثير ٤/١٠١.

بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أذنتُ لك. ففي الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية الكريمة.

والمعنى، والله تعالى أعلم: ومن هؤلاء المنافقين من يقول للرّسول ﷺ وقد دعاه إلى غزو الرّوم ويعتذر بالقول : ائذن لي بالبقاء ولا تفتنيّ بالنّساء الرّوميّات الجميلات لو خرجت للغزو. ألا في الفتنة الحقيقيّة سقطوا، وهي التّخلّف عن الجهاد في سبيل الله تعالى ومخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ . وإنّ جهنّم لمحيطة نيرانها المتأجّجةُ الفظيعةُ يوم القيامة بالكافرين بمختلف فئاتهم وفي مقدّمتهم المنافقون.

﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

إن تُصِبْك حَسَنَةٌ أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم من فتح أونصر أو غنيمة فإنّ المنافقين يسوؤهم ذلك.وإن تصبك بإذن الله تعالى مصيبةٌ ولا تخطئك من هزيمةٍ – لا سمح الله – أو قتل أو جرح فإنّ المنافقين يقولون قد أخذنا

حِذْرنا[1]من قبل أن تصيبه هذه المصيبة[2]ويرتدّوا عن محمّد وهم فرحون بما أصاب محمّداً وأصحابه من المصيبة[3].

فقل يا محمّد لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله تعالى لنا في اللّوح المحفوظ وقضاه علينا[4]هو عزّ وجلّ مولانا وناصرنا على أعدائه[5]وسيّدنا وملجؤنا[6] وعلى الله تعالى فليتوكل المؤمنون.

قل يا محمّد هل تنتظرون بنا[1]في جهادنا في سبيل الله تعالى إلاّ إحدى الحسنيين النّصر أو الشهادة، وإلاّ إحدى الخلّتين اللّتين هما أحسن من غيرهما، إمّا ظفراً بالعدوّ وفتحاً لنا بغلبتناهم ففيها الأجر والغنيمة والسّلامة. وإمّا قتلاً من عدوّنا لنا ففيه الشّهادة والفوز بالجنّة والنّجاة من النّار،وكلتاهما ممّا يُحَبّ ولا يُكْرَه[2]ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله تعالى بعذابٍ من عنده عزّ وجلّ أو بأيدينا. فانتظروا إنّا معكم منتظرون.

﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ٥٣ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤ ﴾

---

[1] تفسير الطّبري ١٠/١٠٥.

[2] تفسير الطّبري ١٠/١٠٥.

[3] تفسير الطّبري ١٠/١٠٥.

[4] تفسير الطّبري ١٠/١٠٥.

[5] تفسير الطّبري ١٠/١٠٥.

[6] تفسير ابن كثير ٤/١٠٢.

[1] تفسير الطّبري ١٠/١٠٥.

[2] تفسير الطّبري ١٠/١٠٥.

قل يا محمّد لأولئك المنافقين الّذين ينفقون أموالهم من باب الرّياء وبقصد حسن الذِّكر أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبّل الله تعالى منكم، لأنّكم ما أردتم بالنّفقة وجه الله تعالى. إنّكم كنتم قوماً فاسقين خارجين عن الصِّراط المستقيم.

وما منع أولئك المنافقين أن تُقْبَلَ منهم نفقاتهم إلاّ أنّهم كفروا بالله تعالى، وبرسوله ﷺ ، ولا يأتون الصّلاة ولا يؤدّونها إلاّ وهم كسالى، ولا ينفقون إلاّ وهم كارهون، فليست نفقتهم عن طيب نَفْسٍ ورضا خاطر.

﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

فلا تعجبك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم وأيّها المؤمن أموالهم ولا أولادهم. إنّما يريد الله تعالى ليعذّبهم بها في الحياة الدّنيا بما يلقون في جمعها من المشقّة، وفيها من المصائب[1] وتزهق أنفسهم وتخرج[2] أرواحهم وهم كافرون فيذهبون إلى نار الجحيم.

﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٌ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

ويحلف المنافقون بالله تعالى العظيم بأنّهم منكم أيّها المؤمنون وعلى دينكم، وما هم منكم ولا على دينكم، ولكنّهم قومٌ يخافونكم،فهم خوفاً منكم

---

[1] الجلالين.

[2] تفسير الطّبري ١٠/١٠٧.

يقولون بألسنتهم إنّا فيكم ليأمنوا فيكم فلا يُقْتَلوا[٣]لو أنّهم يجدون حِصْناً يتحصّنون به[٤]أو مغاراتٍ في الجبال، أو نفقاً في الأرض[٥]لذهبوا إلى ذلك كلّه هرباً منكم وهم يجمحون كالفرس الجموح[٦].

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في أمر الصّدقات ويطعن عليك فيها[١] فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعْطَوْا منها إذا هم يسخطون عليك ويعيبونك ويغضبون لأنفسهم[٢] ولو أنّهم رضوا ما أعطاهم الله تعالى من خزائنه الّتي لا تنفد، وأعطاهم رسوله ﷺ من الصّدقات ونحوها، ولو أنهم قالوا كافينا الله[٣] سيؤتينا الله تعالى من فضله وسيؤتينا رسوله ﷺ، إنّا إلى الله تعالى راغبون في أن يوسّع علينا من فضله فيغنينا عن الصّدقة وغيرها من صِلات النّاس والحاجة إليهم[٤] لكان كلّ ذلك خيراً لهم وأفضل.

---

[٣] تفسير الطّبري ١٠/١٠٧.

[٤] تفسير ابن كثير ٤/١٠٣.

[٥] تفسير ابن كثير ٤/١٠٤.

[٦] الجلالين.

[١] تفسير الطّبري ١٠/١٠٨.

[٢] انظر تفسير الطّبري ١٠/١٠٨و١٠٩ وتفسير ابن كثير٤/١٠٤.

[٣] تفسير الطّبري ١٠/١٠٩.

[٤] تفسير الطّبري ١٠/١٠٩.

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾

إنّما الصّدقات قد فرضها الله تعالى لهذه الفئات الثّمان. إنّها للفقراء. والفقير هو المتعفّف الّذي لا يسأل النّاس شيئاً[١] والّذي به عاهة[٢]وزَمانة[٣] وللمساكين. والمسكين: هو الّذي يسأل ويطوف يتبع النّاس[٤]والصّحيح الجسم[٥]والعاملين عليها والسّعاة في قبضها من أهلها ووضعها في مستحقّيها يعطون ذلك بالسّعاية، أغنياء كانوا أو فقراء[٦]والمؤلّفة قلوبهم كي يدخلوا في الإسلام، أو يثبتوا عليه، أو ينفعوه ويدفعوا الأذى عنه[٧]وفي الرّقاب وهم المكاتَبُون يُعْطَوْن منها في فك رقابهم[٨]والغارمين وهم الّذين استدانوا في غير معصية الله ثمّ لم يجدوا قضاءً في عينٍ ولا عرض[٩]وفي سبيل الله، وهم الغزاة

---

[١] انظر تفسير الطّبري ١٠/١١٠وتفسير ابن كثير ٤/١٠٦.

[٢] انظر تفسير الطّبري ١٠/١١٠.

[٣] الزَّمانة بفتح الزّاي : العاهة.

[٤] انظر تفسير الطّبري ١٠/١٠٩و١١٠ وتفسير ابن كثير ٤/١٠٦.

[٥] انظر تفسير الطّبري ١٠/١٠٩و١١٠

[٦] تفسير الطّبري ١٠/١١١.

[٧] انظر تفسير الطّبري ١٠/١١٢و١١٣ وتفسير ابن كثير ٤/١٠٧و١٠٨.

[٨] تفسير الطّبري ١٠/١١٣ وتفسير ابن كثير ٤/١٠٨

[٩] تفسير الطّبري ١٠/١١٤.

المجاهدون في سبيل الله تعالى[١٠] وابن السَّبيل وهو المسافر الّذي يجتاز من بلدٍ إلى بلد. والسَّبيل: الطّريق[١١] وليس مع المسافر شيءٌ يستعين به في سفره[١٢].

فريضةً من الله تعالى وقِسْماً قسمه الله لهم فأوجبه في أموال أهل الأموال لهم[١٣].

والله تعالى عليمٌ بمصلحة عباده، حكيمٌ في تدبيره خلقه[١].

ويلاحظ في ترتيب هذه الفئات الثّمان أنّه روعي في ذلك شدّة الحاجة والكثرة.

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

ومن هؤلاء المنافقين أولئك الّذين يؤذون النّبيّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه ويقولون هو أذن سامعة يسمع من كلّ أحدٍ ما يقول فيقبله ويصدّقه[٢] قل أيّها المؤمنون هو أذن خيرٍ لكم يفرح للخير حلّ بكم ويتمنّاه لكم لا أذن شرّ. يؤمن بالله تعالى ويؤمن للمؤمنين يطمئنّ لهم ويبتهج[٣] ويرتاح،

---

[١٠] انظر تفسير الطّبري ١١٤/١٠ وتفسير ابن كثير ١٠٩/٤.

[١١] تفسير الطّبري ١١٥/١٠.

[١٢] تفسير ابن كثير ١٠٩/٤.

[١٣] تفسير الطّبري ١١٥/١٠.

[١] تفسير الطّبري ١١٥/١٠.

[٢] تفسير الطّبري ١١٦/١٠.

[٣] انظر التّفسير البسيط ٢١٩/١٠ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣١٩/٥.

ورحمةٌ للّذين آمنوا منكم أيّها النّاس. والّذين يؤذون رسول الله ﷺ بأقوالهم وأفعالهم لهم عذابٌ أليم.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

يحلف أولئك المنافقون بالله تعالى العظيم لكم أيّها المؤمنون كذباً، بباعث الخوف منكم ليرضوكم، بأنّهم ما قالوا شيئاً يؤذي الله تعالى ويؤذي رسوله ﷺ ويؤذي المؤمنين. والله تعالى أحقّ أن يرضوه بالاستغفار، ورسوله ﷺ بالتّوبة إلى الله تعالى والاعتذار إن كانوا مؤمنين حقّاً، تائبين صدقاً.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾

ألم يعلم أولئك المنافقون أنّه من يشاقق الله تعالى ويحاربه ويخالفه[1] ويشاقق الرّسول ﷺ ويحاربه ويخالفه فأنّ له نار جهنّم خالداً فيها، وذلك الخزي العظيم والعذاب المهين.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا

[1] انظر تفسير ابن كثير ٤/١١٠

تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾

يحذر المنافقون أن تُنَزَّل عليهم سورةٌ تنبّئهم بما يخفون في قلوبهم من كفرٍ وبغضٍ للإسلام واستهزاءٍ بالمصطفى ﷺ والمؤمنين. قل يا محمّد لهم على سبيل التّوبيخ: استهزِئُوا كما يحلو لكم إنّ الله تعالى مخرجٌ ما تحذرون إخراجه، وفاضحٌ ما تريدونه أن يكون طيَّ الكتمان. ولئن سألتهم أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم عمّا قالوا من سوءٍ ليقولنّ إنّما كنّا نخوض في أودية الكلام ونلعب ولا نريد جِدّ القول. قل يا محمّد أبالله تعالى وبآياته البيِّنات، وبرسوله ﷺ كنتم تستهزئون وتضحكون! لا تعتذروا قد كفرتم بالله تعالى بعد إيمانكم. إن يعف الله تعالى عن طائفة منكم يعذِّب طائفةً أخرى بسبب أنّهم كانوا مجرمين.

﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۥٓۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ومتشابهون في الدّين كأبعاض الشّيء الواحد[1] وأجزائه. يأمرون بالمنكر شرعاً وعقلاً، وينهون عن المعروف شرعاً وعقلاً، ويقبضون أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، وفي كلّ وجوه البرّ، وعن كلّ ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين. تركوا الله أن يطيعوه ويتّبعوا

[1] الجلالين.

أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته[٢]إنّ المنافقين هم الفاسقون الخارجون عن الصّراط المستقيم.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

وعد الله تعالى المنافقين والمنافقات والكفّار نار جهنم خالدين فيها أبداً، هي كافيتهم عذاباً وعقاباً على كفرهم[١] ولعنهم الله تعالى ، وطردهم من رحمته، ولهم عذاب دائمٌ مقيم.

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

أنتم أيّها المنافقون كالّذين من قبلكم[٢]الّذين أهلكهم الله تعالى. كانوا أشدّ منكم قوّةً وأكثر أموالاً وأولاداً فتمتّعوا بنصيبهم وحظّهم من دنياهم ودينهم ورضوا بذلك من نصيبهم في الدّنيا عِوَضاً من نصيبهم في الآخرة[٣]

---

[٢] تفسير الطّبري ١٠/١٢١.

[١] انظر تفسير الطّبري ١٠/١٢١.

[٢] الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٥/٣٣٠ و ٣٣١.

[٣] تفسير الطّبري ١٠/١٢١.

فاستمتعتم بنصيبكم كما استمتع الّذين من قبلكم بنصيبهم، وخضتم في لغو القول كالّذي خاضوا. أولئك المنافقون حبطت أعمالهم وبطلت في الدّنيا والآخرة على غرار الكافرين السّابقين، وأولئك هم الخاسرون في الأولى والآخرة[٤] .

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

في أسلوب الاستفهام الإنكاريّ تسأل الآية الكريمة ألم يأت أولئك المنافقين كي يتّعِظوا نبأ الّذين من قبلهم قوم نوحٍ عليه السّلام أوّل رسل الله تعالى إلى البشر والأب الثاني للبشريّة وعادٍ قوم هود عليه السّلام وكانوا يسكنون في جنوب الجزيرة العربيّة، وثمود قوم صالح عليه السّلام وكانوا يسكنون الحِجْر أو ديار ثمود في شمال الجزيرة العربيّة، وقوم إبراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء، وأصحاب مدين. ومدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهي الّتي بقرب معان من طريق الحجاز[١] وهم قوم شعيب عليه السّلام . والقرى المؤتفكات المنقلبات رأساً على عقب[٢] وهم قوم لوطٍ عليه السّلام قيل إنّها كانت قرياتٍ ثلاثاً[٣] وأمّ قراهم سدوم[٤] جنوب البحر الميّت[٥] أتتهم جميعاً

---

[٤] انظر تفسير الطّبري ١٠/١٢٢.

[١] تفسير ابن كثير ٣/٤٤٣.

[٢] تفسير الطّبري ١٠/١٢٢.

[٣] تفسير الطّبري ١٠/١٢٣.

[٤] تفسير ابن كثير ٤/١١٤ و ٣/٤٤١.

رسلهم بالآيات البيّنات فكفروا فأخذهم الله تعالى. وما كان الله تعالى ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بكفرهم.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وأصفياء بعض. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة بكامل شروطها، ويؤتون الزّكاة أصحابها، ويطيعون الله تعالى ويطيعون رسوله ﷺ طاعةً مطلقة. أولئك سيرحمهم الله تعالى في الأولى والآخرة. إنّ الله تعالى عزيزٌ في ملكه حكيمٌ في صنعه.

وعد الله تعالى المؤمنين والمؤمنات جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، ومساكن طيّبةً في جنّاتٍ عدنٍ وخلود.ورضوانٌ من الله تعالى أكبر من كلّ نعيم. ذلك هو الفوز العظيم حقّا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾

---

(٥) انظر معجم البلدان : " سدوم" وتفسير الطّبري ٤٧/٢٧.

يا أيّها النّبيّ الكريم والرّسول العظيم جاهد الكفّار بالسّنان والمنافقين باللّسان[1] واغلظ عليهم وكن فظاً معهم.ومأواهم جهنّم، وبئس المصير والقرار النّار.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

يحلف المنافقون بالله العظيم بأنّهم ما قالوا كلمة الكفر الّتي سمعها منهم بعض الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم وأوصلها للنّبيّ ﷺ الّذي دعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا أنّهم ما قالوها. والله تعالى يقسم[1] بأنّهم قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم. ويلاحظ أنّ الآية الكريمة تنصّ على إسلام القوم الّذي يكون باللّسان ويقف عنده ولا يتعدّاه. وهذه هي حقيقة المنافقين. ولقد همّ أولئك المنافقون بما لم ينالوا بفضل الله تعالى وذلك بقتل النّبيّ ﷺ ليلة العقبة وذلك بإلقائه عليه الصّلاة والسّلام وهو على ناقته من أعلى الثّنيّة وأعلى الجبل ليلاً[2] وما نقموا وما أنكروا على رسول الله ﷺ شيئاً إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله[3] فإن يتب المنافقون يك خيراً لهم وإن يستمرّوا في تولّيهم وإعراضهم

(١) انظر – هنا – تفسير الطّبري ١٢٦/١٠.

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٣٨/٥.

(٢) انظر أسباب النّزول ٢٨٩.

(٣) تفسير الطّبري ١٢٩/١٠.

يعذّبهم الله تعالى عذاباً أليماً في الدّنيا بالخزي، والآخرة بنار جهنّم. ومالهم في الأرض من وليٍّ يتولى شئونهم ولا نصير ينصرهم على عدّوهم.

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾

ومن هؤلاء المنافقين من عاهد الله تعالى لئن أتانا عزّ وجلّ من فضله لنَصَّدَّقنّ ولنكوننّ من الصّالحين. فلمّا آتاهم عزّ وجلّ من فضله بخلوا بذلك الفضل الّذي أعطاهم الله تعالى إيّاه وتولّوا وانصرفوا وهم معرضون عن طاعة الله تعالى مستكبرون. فصيّر الله تعالى عاقبتهم[1] نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه عزّ وجلّ بسبب أنّهم أخلفوا الله تعالى ما وعدوه بإيتاء الزّكاة مستحقّيها وبسبب أنّهم كانوا يكذبون في أقوالهم ووعودهم. ألم يعلم أولئك المنافقون أنّ الله تعالى يعلم سِرّهم ونجواهم مع الآخرين وأنّ الله تعالى علاّم الغيوب ومن ذلك دخائل القلوب ودفائن النّفوس.

(١) الجلالين .

﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾

أولئك المنافقون هم الّذين يلمزون[٢] ويعيبون[٣] المطّوّعين من المؤمنين في الصّدقات المتطوّعين[٤] المتنفّلين[٥] والّذين لا يجدون إلاّ جهدهم فيسخرون منهم فيجازيهم عزّ وجلّ على سخريتهم فيحبط أعمالهم، ويثيب المتصدّقين، وللمنافقين عذابٌ أليم. لقد كان المنافقون يقولون عمّن أنفق كثيراً في تبوك وغير تبوك هذا مُراءٍ، ويقولون عمّن أنفق قليلاً إنّ الله لغنيٌّ عن صدقة هذا[١] فما سلم من لسان المنافقين أحد.

﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠ ﴾

هذا كلامٌ خرج مخرج الأمر وتأويله الخبر، ومعناه إن استغفرت لهم يا محمّد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم[٢] حتّى ولو استغفر لهم المصطفى ﷺ سبعين مرّة. وقد يراد بالرّقم سبعين حقيقة معناه، وقد يراد به الدّلالة على الكثرة في مرتبة العشرات، جرياً على عادة العرب الّذين نزل القرآن الكريم

---

(٢) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٥/٣٤٤.

(٣) الجلالين.

(٤) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٥/٣٤٥.

(٥) الجلالين.

(١) انظر فتح الباري ٨/٣٣٠ حديث رقم ٤٦٦٨.

(٢) تفسير الطّبري ١٠/١٣٧.

بلسانهم. والسّبب في عدم قبول الاستغفار لهم أنّهم كفروا بالله تعالى، وبرسوله ﷺ . والله تعالى لا يهدي المصرّين على فسقهم والخروج عن الطّريق المستقيم.

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾

فرح الّذين خلّفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه[1] بمقعدهم وجلوسهم في منازلهم[2] بعد[3] رسول الله ﷺ،وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم

(١) تفسير الطّبري ١٠/١٣٩.

(٢) تفسير الطّبري ١٠/١٣٩.

(٣) الجلالين وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٥/٣٤٧.

وأنفسهم في سبيل الله تعالى وقال بعضهم لبعضٍ[٤]لا تنفروا في الحرّ.قل لهم يا محمّد نار جهنّم أشدّ حرّاً من الحرّ الشّديد في غزوة تبوك،وسوف تدخلون النّار وبئس القرار.إنّ المنافقين لو كانوا يفقهون ويعقلون ما غابت عنهم تلك الحقيقة.فليضحك المنافقون قليلاً في هذه الحياة الدّنيا،ولْيَبْكُوا كثيراً في جهنّم جزاءً بما كانوا يكسبون في هذه الحياة الدّنيا من آثام.فإن رجعك الله تعالى وردّك يا محمّد من غزوتك هذه[٥]إلى طائفةٍ من هؤلاء المنافقين فاستأذنوك للخروج من أجل القتال معك فقل لهم يامحمّد لن تخرجوا معي أبداً،ولن تقاتلوا معي عدوّاً.إنّكم رضيتم بالقعود أوّل مرّةٍ فلم تخرجوا إلى غزوة تبوك فاقعدوا مع الرّجال الّذين تخلّفوا عن الغزاة[١].

ولاتصلّ يا محمّد على أحدٍ منهم مات أبداً،ولا تقم على قبره.إنّهم كفروا بالله تعالى وبرسوله محمّد ﷺ،وماتوا وهم فاسقون خارجون عن الصّراط المستقيم.عن عثمان ﷺ قال:كان النّبيّ ﷺ إذا فرغ من دفن الرّجل وقف عليه وقال:استغفروا لأخيكم واسألوا له التّثبيت فإنّه الآن يُسْأل[٢].

ولا تعجبك يا محمّد أموالهم وأولادهم.إنّما يريد الله تعالى أن يعذّبهم بها في الدّنيا بما يلقون في جمعها من المتاعب وفي الحياة الدّنيا من المصائب،وتخرج أرواحهم الخبيثة وهم كافرون.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ

(٤) الجلالين.

(٥) تفسير الطّبري١٠/١٤٠.

[١] تفسير ابن كثير٤/١٣٢وتفسير الطّبري١٠/١٤٠والجلالين.

[٢] تفسير ابن كثير٤/١٣٥.

﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

وإذا أنزل الله تعالى سورةً كريمةً على محمّد ﷺ بأن آمنوا بالله تعالى،وجاهدوا مع رسوله ﷺ استأذنك ذوو الغني والمال منهم في التّخلّف عنك والقعود في أهليهم[٣]وقالوا لك دعنا[٤]نكن مع القاعدين عن الجهاد من ذوي الأعذار وغير ذوي الأعذار.

لقد رَضُوا بأن يكونوا مع النّساء اللّاتي تخلّفن في البيوت[١]وطبع الله تعالى على قلوبهم فهم لايفقهون ما يقال ويجهلون مصلحتهم.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾

إنّ أولئك المنافقين لم يجاهدوا في سبيل الله تعالى،لكن الرّسول محمّدٌ ﷺ والّذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى.وأولئك لهم الخيرات في الأولى بالنّصر والغنيمة والتّمكين في الأرض،وفي الآخرة بالخلود في جنّات النّعيم.إنّ الله سبحانه وتعالى أعدّ لهم جنّات تجري من تحت أشجارها الأنهار خالدين فيها أبداً.ذلك هو الفوز العظيم حقّاً،والنّجاح الكبير صدقا.

---

[٣] انظر تفسير الطّبري١٠/١٤٣.

[٤] تفسير الطّبري١٠/١٤٣.

[١] الجلالين.

﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٠﴾

وجاء رسولَ الله ﷺ المعتذرون من الأعراب بمعنى المعذورين[1]وأصله المعتذرون.فقبلت التّاء ذالاً وأدغمت[2]ليؤذن لهم في التّخلّف[3]وممّا هو دليلٌ على صدق هؤلاء المعتذرين المعذورين من الأعراب مجئ جملة:"جاء"الّتي تستعمل في القرآن الكريم دائماً وأبداً دليلاً على القرب،وذلك بعكس جملة:"أتى"صنوها الّتي تدلّ دائماً وأبداً على البعد.إنّ هؤلاء الأعراب الصّادقي الأعذار قد جاءوا رسول الله ﷺ ووصلوا إليه فعلاً كي يبيّنوا أعذراهم له عليه الصّلاة والسّلام.

وفي المقابل قعد الّذين كذبوا الله تعالى وكذبوا رسوله ﷺ.سيصيب الّذين كفروا منهم ولايخطئهم عذابٌ من الله تعالى أليمٌ وعظيم.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ

---

[1] الجلالين.

[2] انظر تفسير ابن عطيّة٦/٥٩٥والجدول في إعراب القرآن وصرفه٥/٣٥٨.

[3] تفسير الطّبري١٠/١٤٤.

تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

ليس على الضّعفاء حرجٌ ولا إثم[٤]ولا على المرضى ولا على الّذين لا يجدون ما ينفقون إذا نصحوا لله تعالى ولرسوله ﷺ وكانوا صادقي الإيمان والنّيّة.ويلاحظ ترتيب الآية الكريمة الفئات الثّلاث بناءً على مدى لزوم العذر.ما على الّذين بلغوا مرتبة الإحسان من سبيل عليهم ولا لومٍ لهم.والله تعالى غفورٌ ذنب من استغفره رحيمٌ في كلّ حال.

وكذلك لا إثم على الّذين أتوك من أماكن بعيدة يا محمّد لتحملهم إلى جبهة القتال وقلت لهم يا محمّد لا أجد ما أحملكم عليه من الدّوابّ تولّوا ورجعوا وأعينهم تفيض من الدّمع بعد أن امتلأت به حزناً لأجل[١]ألّا يجدوا ما ينفقون من مالٍ للجهاد في سبيل الله تعالى.

عن أنسٍ ﷺ أنّ النّبيّ ﷺ كان في غزاةٍ فقال:إنّ أقواماً بالمدينة خَلْفَنا ما سلكنا شِعْباً ولا وادياً إلّا وهم معنا فيه،حَبَسَهُمُ العُذْر[٢]

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ

---

[٤] الجلالين.

[١] الجلالين وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه٥/٣٦١.

[٢] فتح الباري٦/٤٦حديث رقم٢٨٣٩.

وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾

إنّما السّبيل والمؤاخذة على الّذين يستأذنوك يا محمّد في التّخلّف عن الجهاد وهم أغنياء وقادرون عليه.إنّهم رضوا بأن يكونوا مع النّساء المتخلّفات عن الجهاد بطبعهنّ،وطَبَعَ الله تعالى على قلوبهم فهم لايعلمون ما ينفعهم ومايضرّهم.

يعتذرون إليكم أيّها المؤمنون بأقبح الأعذار إذا رجعتم إليهم من الجهاد.قل لهم يا محمّد وقل لهم أيّها المؤمن،لاتعتذروا لن نؤمن لكم ولن نصدّقكم على ماتقولون[1]قد نبّأنا الله تعالى من أخباركم،وأظهركم لنا على حقيقتكم،وسيرى الله تعالى عملكم ورسوله ﷺ.ثمّ تردّون بعد موتكم إلى الله تعالى عالم الغيب والشّهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون وسيجازيكم.

سيحلف أولئك المنافقون بالله تعالى العظيم لكم إذا رجعتم إليهم لِتُعْرِضوا عنهم وتتركوهم فأعرضوا عنهم،ودعوا تأنيبهم[2]إنّهم قَذَرٌ لخبث باطنهم[3]ونَجَس[4]ونَتَن[5]ومصيرهم جهنّم جزءاً بما كانوا يكسبون من آثام.

---

[1] تفسير الطّبري١١/٢.

[2] تفسير الطّبري١١/٣.

[3] الجلالين.

يحلفون لكم وهم كاذبون لترضَوْا عنهم.فإن ترضَوْا عنهم فإنّ الله تعالى لا يرضى عن القوم الفاسقين الخارجين عن الصّراط المستقيم.

﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٩٨ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩﴾

من الأعراب،وهم سكّان البادية[1] كافرون ومنافقون ومؤمنون.وقد تحدّثت عن كلّ فريقٍ آيةٌ كريمة.

الأعراب سكّان البادية والموغلون في البداوة والمنعزلون عن النّاس أشدّ كفراً ونفاقاً من غيرهم،وأجدر ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله تعالى على رسوله محمّد ﷺ من قرآنٍ مجيدٍ وسنّةٍ مطهّرة.والله تعالى عليمٌ لا يخفى عليه شيء،حكيمٌ في كلّ قولٍ وفعلٍ وحكم،وفي كلّ شيء لامعقّب لحكمه،ولا رادّ لقضائه.

---

(٤) تفسير ابن كثير ٤/١٤٠وتفسير الطّبري ١١/٣.

(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني:"رجس"١/٢٥٠.

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني:"عرب"٢/٤٢٦.

ومن الأعراب من يتّخذ ماينفق غرامةً وخسارة[٢]ويتربّص بالمؤمنين الدّوائر،وينتظر بكم الدّوائر أن تدور بها الأيّام واللّيالي إلى مكروه،ونفي محبوب،وغلبة عدوٍ لكم[٣]جعل الله دائرة السّوء عليهم،ونزول المكروه بهم لا عليكم أيّها المؤمنون ولا بكم[٤]وجعل عليهم الدّائرة الّتي تسوؤهم سوءاً[١]والله سميعٌ لكلّ قول،عليمٌ بكلّ نيّةٍ وفعل.ولايخفى أنّ هذه صفات المنافقين من الأعراب.

ومن الأعراب من يؤمن بالله تعالى،وباليوم الآخر،ويتّخذ ما ينفق قرباتٍ عند الله تعالى،وما يقرّبه من رضا الله ومحبّته[٢]وما يمكّنه من نيل دعاءِ الرّسول واستغفاره له[٣]ألا إنّ تلك النّفقات في سبيل الله تعالى قربةٌ لهم عند الله تعالى ورفيع منزلة.سيدخلهم الله تعالى في رحمته.إنّ الله تعالى غفورٌ ذنب من استغفره،رحيمٌ وسعت رحمته كلّ شيءٍ وحيّ.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾

والسّابقون الأوّلون من المهاجرين إلى المدينة المنوّرة،والأنصار الّذين نصروا الله تعالى،ونصروا رسوله ﷺ ،ورحّبوا بإخوانهم المهاجرين،والذّين تبعوهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين فهاجروا من ديار الكفر إلى ديار الإسلام،ونصروا الله

---

[٢] تفسير ابن كثير ٤/١٤١.

[٣] تفسير الطّبري ١١/٤.

[٤] تفسير الطّبري ١١/٤.

[١] تفسير الطّبري ١١/٥.

[٢] تفسير الطّبري ١١/٥.

[٣] تفسير الطّبري ١١/٥.

تعالى ورسوله ﷺ وديـن الإسـلام والمؤمنين، كـلّ هـؤلاء رضـي الله تعـالى عنهم، ورضوا عنه وعن ثوابه الجزيل لهم، وإكرامه لهم، وأعدّ لهم جنّاتٍ تجري تحت شجرها وقصورها أنواع الأنهار، خالدين في تلك الجنات أبداً. ذلك الفوز العظيم حقّاً، النّجاح الكبير صدقاً.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

وممّن حولكم يا أهل مدينة رسول الله ﷺ منافقون. ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النّفاق، ولجّوا فيه واستمرّوا[1] مَرَنُوا عليه ودَرِبُوا به[2] لا تعلمهم أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم. نحن نعلمهم دون سوانا. سنعذّبهم مرّتين، في الدّنيا بالفضيحة والخزي[3] وبعذاب القبر[4] ثمّ يردّون يوم القيامة إلى عذابٍ عظيمٍ أليمٍ شديد.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ

---

[1] الجلالين.

[2] تفسير الطّبري ١١/٨.

[3] انظر–مثلاً–تفسير ابن كثير ٤/١٤٣ و١٤٤ وتفسير الطّبري ١١/٨ و٩.

[4] انظر–مثلاً–تفسير ابن كثير ٤/١٤٣ و١٤٤ وتفسير الطّبري ١١/٨ و٩.

يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

ومن أهل المدينة آخرون أقرّوا بذنوبهم[1]خلطوا عملاً صالحاً باعترافهم بذنوبهم وتوبتهم منها[2]وعملاً آخر سَيِّئاً بتخلّفهم عن رسول الله ﷺ حين خرج غازياً وتركهم الجهاد مع المسلمين[3]في غزوة تبوك[4]لعلّ الله أن يتوب عليهم.وعسى من الله واجب.وإنّما معناه سيتوب الله عليهم[5]إنّ الله تعالى غفورٌ رحيم.

خذ أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم من أموالهم صدقةً تطهّرهم من دنس ذنوبهم[6]وتزكّيهم بها،وتنمّيهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النّفاق بها إلى منازل أهل الإخلاص[7]وصلّ عليهم،وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم،واستغفر لهم

---

[1] تفسير الطّبري١١/١٠.

[2] تفسير الطّبري١١/١٠.

[3] تفسير الطّبري١١/١٠.

[4] تفسير الطّبري١١/١٠.

[5] تفسير الطّبري١١/١٠.

[6] تفسير الطّبري١١/١٣.

[7] تفسير الطّبري١١/١٣.

منها[٨]إنّ دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم بأنّ الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم[٩]والله تعالى سميعٌ لكلّ قول،عليمٌ بكلّ نيّةٍ وفعل.

وفي أسلوب الاستفهام التّقريريّ يأتي السّؤال:ألم يعلم هؤلاء الذّين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سَيِّئاً أنّ الله تعالى هو يقبل التّوبة عن عباده التّائبين،ويأخذ الصّدقات وينمّيها ويثيب عليها،وأنّ الله تعالى هو التوّابُ على عباده،يرشدهم إلى التّوبة ويقبلها منهم،الرّحيم الذّي وسعت رحمته كلّ حيٍّ وشَيْء.

وقل يا محمّد للنّاس أجمعين،وفيهم المتخلّفون عن غزوة تبوك،اعملوا ماشئتم،فسيرى الله تعالى عملكم ويراه رسوله ﷺ ويراه المؤمنون.وستردّون بعد الموت إلى الله تعالى عالم الغيب والشّهادة، والّذي أحاط بكلّ شيءٍ علماً،فينبّئكم بما كنتم تعملون وسيجازيكم.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠٦﴾

ومن هؤلاء المتخلّفين عنكم حين شخصتم لعدوّكم أيّها المؤمنون آخرون[١]مرجئون لأمر الله وقضائه[٢]ومؤخّرون عن التّوبة[٣]قال ابن عبّاس ومجاهد وعكرمة والضّحّاك وغير واحد:هم الثّلاثة الّذين خُلِّفوا،أي عن التّوبة.وهم مُرارة بن الرّبيع،وكعب بن مالك،وهلال بن أميّة.قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد،كَسَلاً ومَيْلاً إلى الدَّعَةِ والحفظ وطيب الثّمار،لاشكّاً

---

[٨] تفسير الطّبري١١/١٣.

[٩] تفسير الطّبري١١/١٣.

[١] تفسير الطّبري١١/١٦.

[٢] تفسير الطّبري١١/١٦.

[٣] الجلالين.

ونفاقا[٤] والله تعالى إذا شاء عذّب هؤلاء،وإذا شاء قَبِل توبتهم.والله تعالى عليمٌ لا يخفى عليه شيء،حكيمٌ في كلّ شيء.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠﴾

ومن هؤلاء المنافقين الّذين اتّخذوا مسجداً مضارّةً لأهل مسجد قباء[١] وكفراً بالله تعالى وبرسوله ﷺ،وتفريقاً بين المؤمنين الّذين يصلّون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم[٢] وترقُّباً[٣] وانتظاراً لمن حارب الله تعالى ورسوله من قبل،وهو أبو عامر الفاسق الكافر الّذي أمرهم ببناء المسجد ليصلّي فيه فيما يزعم إذا رجع إليهم من عند هرقل وقيصر الرّوم بالجيوش لقتال

---

[٤] تفسير ابن كثير ٤/١٤٨.

[١] الجلالين.

[٢] الجلالين.

[٣] الجلالين.

النّبيّﷺ[٤]وليحلفنّ أولئك المنافقون بالله تعالى العظيم بأنّهم ما[٥]أرادوا ببناء مسجد الضّرار إلّا الفعلة الحُسْنى[١]والله تعالى يشهد إنّ المنافقين لكاذبون في أقوالهم.

لا تُصَلِّ يا محمّد في مسجد الضِّرار أبدا[٢]لمسجدٌ أُسِّس على التّقوى وبُنِيَتْ قواعده عليها[٣]وهو مسجد قباء كما في البخاري[٤]من أوّل يوم حللت يامحمّد بدار الهجرة[٥]أحقُّ أن تقوم فيه وتصلّي به.والسّياق إنّما هو في معرض مسجد قباء.ولهذا جاء في الحديث الصّحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: صلاةٌ في مسجد قباء كعُمْرة. وفي الصّحيح أن رسول الله ﷺ كان يزور مسجد قباء راكباً وماشياً.وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ لمّا بناه وأسّسه أوّل قدومه ونزوله على بني عمرو بن عوف،كان جبريل هو الّذي عَيَّنَ له جهة القبلة.فالله أعلم[٦].

في مسجد قباء رجالٌ من الأنصار يحبّون أن يتطهّروا والله يحب المتطهّرين.روي أنّ رسول الله ﷺ بعث إلى عويم بن ساعدة فقال:ما هذا الطّهور الّذي أثنى الله عليكم؟فقال:يا رسول الله،ما خرج منّا رجلٌ ولا امرأةٌ من الغائط إلّا غسل فرجه – أو قال:مقعدته – فقال النّبيّ ﷺ:هو هذا[٧].

---

[٤] انظر تفسير الطّبري١١/١٨.

[٥] الجدول في إعراب القرآن وصرفه٦/٢٤.

[١] انظر تفسير الطّبري١١/١٨.

[٢] الجلالين وتفسير ابن كثير٤/١٥٠.

[٣] الجلالين.

[٤] الجلالين وتفسير ابن كثير٤/١٥٠.

[٥] الجلالين.

[٦] تفسير ابن كثير٤/١٥٠.

[٧] تفسير ابن كثير٤/١٥١.

وفي أسلوب الاستفهام التّقريريّ يتمّ السّؤال:أفمن أسّس بنيانه على تقوى من الله تعالى ورضوانٍ خيرٌ أم من أسّس بنيانه على حرف[٨]جرف هارٍ وحفيرةٍ[١]وطرفٍ مشرفٍ على السّقوط[٢]فانهار به في نار جهنّم.والله تعالى لا يهدي القوم الظّالمين.

لايزال بنيان المنافقين الّذي بَنَوْا في هيئة مسجد الضِّرار ريبةٍ وشكّاً ونفاقاً[٣]في قلوبهم إلّا أن تتقطّع قلوبهم وتتصدّع فيموتوا[٤]ووقتها يمضي المنافقون بريبهم وشكّهم ونفاقهم إن لم يتوبوا إلى الله تعالى توبةً نصوحاً قبل فوات الأوان.والله تعالى عليمٌ لايخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء،حكيمٌ في كلّ شيء.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم
بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ
ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ

---

[٨] تفسير الطّبري١١/٢٤.

[١] تفسير ابن كثير٤/١٥٤.

[٢] انظر الجلالين.

[٣] تفسير الطّبري١١/٢٥.

[٤] تفسير الطّبري١١/٢٥.

ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

إنّ الله تعالى اشترى وابتاع[1]من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة الّتي فيها ما لاعينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلُون ويُقْتَلون.وعداً على الله تعالى حقّاً في التّوراة الّتي أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السّلام،والإنجيل الّذي أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السّلام،والقرآن الكريم الّذي أوحاه الله تعالى إلى محمّد ﷺ.ولا أحد أَوْفَى بعهده من الله تعالى.فاستبشروا أيّها المجاهدون في سبيل الله تعالى ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالّذي بعتموها من ربّكم به[2]وذلك هو الفوز العظيم.

وهذه هي صفات هؤلاء المؤمنين المجاهدين في سبيل الله تعالى.إنّهم التّائبون توبةً نصوحاً من الذّنوب الّتي قد يرتكبون،العابدون الله تعالى حقّ العبادة، الحامدون الله تعالى في السّرّاء والضّرّاء،الصّائمون،الرّاكعون السّاجدون في صلاتهم،الآمرون بالمعروف شرعاً وعقلاً،النّاهون عن المنكر شرعاً وعقلاً،والحافظون لحدود الله تعالى فلا يتجاوزونها بفعل ما حرّم الله تعالى فعله،وكذلك لا يحرّمون طيّبات ما أحلّ الله تعالى لهم،ولا يبتدعون في الدّين.وبَشِّرْ أيّها الرّسول الكريم المؤمنين الّذين تلك صفاتهم بجنّات النّعيم.

---

[1] تفسير الطّبري١١/٢٦.

[2] تفسير الطّبري١١/٢٦.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾

ما كان للنّبيّ محمّد ﷺ والّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبيّن لهم أنّهم أصحاب الجحيم،وذلك بارتكابهم الذّنب الّذي لا يغفره الله تعالى وهو الشّرك.وممّا جاء في سبب النّزول الحديث الّذي جاء في صحيح الإمام البخاري[1]عن سعيد بن المسيَّب عن أبيه قال:لمّا حضرت أبا طالب الوفاةُ دخل عليه النّبيّ ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أَبِي أميّة،فقال النّبيّ ﷺ:أي عمّ.قل لا إله إلّا الله،أحاجّ لك بها عند الله.فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أميّة:يا أبا طالب،أترغب عن ملّة عبدالمطّلب؟فقال النّبيّ ﷺ:لأستغفرنّ ما لم أُنْهَ عنك.فنزلت الآية الكريمة.

وما كان استغفار إبراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء لأبيه آزر إلّا عن موعدةٍ وعدها إيّاه أشار إليها قوله تعالى[2]:﴿قال سلامٌ عليك سأستغفر لك

---

[1] فتح الباري٨/٣٤١حديث رقم٤٦٧٥.

[2] سورة مريم٤٧.

ربّي إنّه كان بي حَفِيّا﴾وقيل في معنى قوله تعالى:﴿إلّا عن موعدةٍ وعدها إيّاه﴾عن موعدةٍ من أبيه له في أنّه سيؤمن.فكان إبراهيم قد قوي طمعه في إيمانه فحمله على الاستغفار له حتّى نُهِي عنه[٣]فلمّا تبيّن لإبراهيم عليه السّلام أنّ أباه آزر عدوٌّ لله تعالى بسبب الشّرك تبرّأ منه.إنّ إبراهيم لأوّاهٌ كثير التّضرّع والدّعاء[١]حليمٌ صبورٌ على الأذى[٢].

وما كان الله تعالى ليضلّ قوماً بعد أن هداهم ووفّقهم لاعتناق دين الإسلام حتّى يبيّن لهم ما يتّقون من عملٍ غير صالح فلا يجتنبون ذلك العمل غير الصّالح.إنّ الله تعالى بكلّ شيءٍ عليم.

إنّ الله تعالى له ملك السّماوات والأرض وما فيهما ومن فيهما.يُحْيي من يريد إحياءه،ويميت من يريد إماتته،بيده عزّ وجلّ الخير،وهو على كلّ شيءٍ قدير.ومالكم أيّها النّاس من دون الله تعالى من وليٍّ يتولّى مصالحكم،ولا نصيرٍ ينصركم ويصرف الأذى عنكم.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

نزلت الآية الكريمة في غزوة تبوك[٣]وتُبَيّن أنّ الله سبحانه وتعالى قد أدام توتبته[٤]على النّبيّ محمّد ﷺ،وعلى المهاجرين إلى المدينة المنوّرة،وعلى الأنصار

---

[٣] تفسير ابن عطيّة٧/٦٢.

[١] الجلالين وانظر تفسير الطّبري١١/٣٧.

[٢] الجلالين.

[٣] تفسير الطّبري١١/٣٩و٤٠.

أهل المدينة المنوّرة،الّذين اتّبعوا محمّداً ﷺ في وقت العُسْرَة[٥]وزمن الشّدّة،وساعة العسرة منهم من النّفقة والظّهر والزّاد والماء[٦]من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم من شدّة الكرب،ومن بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحقّ ويشكّ في دينه ويرتاب بالّذي ناله من المشقّة والشّدّة في سفره وغزوه[١]ثمّ تاب عليهم عزّ وجلّ،ورفع درجاتهم.إنّه عزّ وجلّ بهم شديد الرّأفة والرّحمة.روي أنّ الرّجلين كانا يشقّان التّمرة بينهما[٢]وكان النّفر يتناولون التّمرة بينهم يمصّها هذا ثمّ يشرب عليها،ثمّ يمصّها هذا ثمّ يشرب عليها،فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم[٣]

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾

وتاب الله تعالى على الثّلاثة الّذين خُلّفوا،أي أُخِّروا حتّى تاب الله عليهم[٤] وهؤلاء الثّلاثة هم كعب بن مالك السَّلَّمِي الخزرجي[٥] ومُرارة ابن

---

[٤] الجلالين.

[٥] الجلالين.

[٦] تفسير الطّبري١١/٣٩.

[١] تفسير الطّبري١١/٣٩.

[٢] تفسير الطّبري١١/٤٠.

[٣] تفسير الطّبري١١/٤٠.

[٤] فتح الباري٨/١٢٣.

[٥] الأعلام٥/٢٢٨وفتح الباري٨/١١٨.

الرّبيع العَمْريّ، الأوسيّ[٦] وهلال بن أمّية الواقفيّ الأوسيّ[٧]وهما بدريّان [٨]وهؤلاء الثّلاثة اعترفوا بأنّهم مقصّرون،فنهى النّبيّ ﷺ النّاس عن التّحدّث إليهم.أمّا الأوسيان فلزما بيتيهما، وكانا كبيرين في السّنّ.

وأمّا كعب بن مالك ﷺ فكان رجلاً شاباً،يقضي وقته بين المسجد النّبويّ الشّريف،يصلّي فيه ويحضر دروس النّبيّ ﷺ،ولا يكلّمه في المسجد أحد.وبين الطّواف في الأسواق،ولا يكلّمه هنالك أحد.فما كان منه إلّا أن ابتنى خيمةً في جبل سَلْع إلى الشّمال الغربيّ من المدينة المنوّرة اعتزل النّاس فيها.وفي أحد الأيّام وهو يطوف في الأسواق إذ سمع رجلاً من الأنباط يسأل عنه.فأشار النّاس إليه،وإذا به يُعْطِيه كتاباً من ملك غسّان يحرّضه فيه على التّوجّه إليه وهجر النّبيّ ﷺ والمؤمنين بسبب الحال الّذي هو فيه،ويَعِدُه بإكرامه لو قدم عليه.ما كان من كعبٍ إلّا أن ألقى ذلك الكتاب في النّار،وأدرك أنّ هذا نوعٌ جديد من الابتلاء والاختبار.مكث كعبٌ وزميلاه على هذا الحال أربعين يوماً،أمرهم النّبيّ ﷺ بعد ذلك بأن يهجروا زوجاتهم دون طلاق.وبعد عشرة أيّام تمام الخمسين يوماً تاب الله تعالى على هؤلاء الثّلاثة،وأنزل الله تعالى توبته على نبيّه ﷺ حين بقي الثّلث الأخير من اللّيل،ورسول الله ﷺ عند أمّ سَلَمة رضي الله تعالى عنها[١]يقول كعب ﷺ [٢]:"وكانت أمّ سلمة محسنةً في شأني،معتنيةً بأمري،فقال:يا أمّ سلمة تيب على كعب.قالت:أفلا أرسل إليه فأبشّره؟قال:إذاً

---

[٦] فتح الباري٨/١١٩.

[٧] فتح الباري٨/١٢٠.

[٨] فتح الباري٨/١١٤حديث رقم٤٤١٨.

[١] فتح الباري٨/١٢١.

[٢] فتح الباري٨/١٢١.

يحطمنّكم النّاس فيمنعوكم النّوم سائر الّليلة.حتّى إذا صلّى الفجر آذن بتوبة الله علينا"

انطلق المسلمون بعد صلاة الفجر يبشّرون الثّلاثة بتوبة الله تعالى عليهم.وأعطى كعب من بشّره ثوبه الّذي لا يملك غيره.واستعار ثوباً،وانطلق إلى النّبيّ ﷺ في المسجد النّبويّ الشّريف،وإلى الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.وقد بلغ من شدّة فرح كعبٍ أنّه أراد أن يتصدّق بكلّ ماله،فأمره النّبيّ ﷺ أن يبقى منه لنفسه شيئاً،فأبقى سهمه الّذي بخيبر.

لقد صوّر كعبٌ ﷺ ماجرى له خير تصوير في الحديث الّذي رواه الإمام البخاريّ في صحيحه[1].

لقد ضاقت على الثّلاثة الأرض بما رَحُبَتْ،وضاقت عليهم أنفسهم،وأيقنوا[2]أنّه[3]لا ملجأ لهم من الله تعالى إلّا إليه عزّ وجلّ.ثمّ تاب الله تعالى عليهم فأرشدهم إلى التّوبة ليتوبوا،وقَبِلَ جلّ وعلا توبتهم.إنّ الله تعالى هو الكثير القبول توبة عباده،الشديد الرّحمة بهم.

ولمّا كانت توبة الله تعالى على هؤلاء الثّلاثة بسبب تقواهم وصدقهم فإنّ الحقّ جلّ وعلا يأمر الّذين آمنوا بأن يتّقوا الله تعالى أمام النّبيّ ﷺ.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ

---

[1] فتح الباري٨/١١٣حديث رقم٤٤١٨.

[2] الجلالين.

[3] الجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه٦/٤٠.

ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾

ما كان لأهل المدينة المنوّرة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ من الغزوات،ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه،بان يصونوها عمّا رضيه لنفسه من الشّدائد،وهو نهيٌ بلفظ الخبر[1]ذلك من أجل أنّهم،وبسبب أنّهم[2]لايصيبهم عَطَشٌ[3]ولا نَصَبٌ وتَعَب[4]ولامَخْمَصَةٌ وجوعٌ[5]في سبيل الله تعالى،ولا يطأون أرضاً يغيظ الكفّار وطؤهم إيّاها[6]ولاينالون من عدوٍّ نيلاً،ولايصيبون من عدوّ الله وعدوّهم شيئاً في أموالهم وأنفسهم وأولادهم[7]إلّا كُتِبَ لهم في صحائف أعمالهم عملٌ صالحٌ يثيبهم الله تعالى عليه.إنّ الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين،الّذين أحسنوا العمل وبلغوا مرتبة الإحسان.

---

[1] الجلالين.

[2] تفسير الطّبري١١/٤٧.

[3] تفسير الطّبري١١/٤٧.

[4] تفسير الطّبري١١/٤٧.

[5] الجلالين.

[6] تفسير الطّبري١١/٤٧.

[7] تفسير الطّبري١١/٤٧.

ولاينفقون في سبيل الله تعالى نفقةً صغيرةً ولا كبيرة،ولايقطعون في طريقهم وادياً واحداً إلّا كتب لهم عمل صالح،ليجزيهم الله تعالى أحسن ما كانوا يعملون.

ويلاحظ أنّ الآية الكريمة الأولى ترتّب العناصر بحسب ترتيب تعرّض المجاهدين لها،ابتداءً بالعطش،وفي هذا التّرتيب تزداد المشقّات ويزداد الثّواب باستمرار.

كما يلاحظ أنّ الآية الكريمة الأخرى تتحدّث عن العناصر الّتي يشترك فيها المباشرون للقتال وغير المباشرين له.

وهاتان الآيتان الكريمتان نزلتا في الجيش يقوده النّبيّ ﷺ.إنّ النّبيّ ﷺ حينما يقود غزوةً على الجيش كلّه أن يخرج.أمّا إذا خرجت سريّة،فعلى الأخرى أن تبقى كي تتفقّه في الدّين لتنذر السّريّة الّتي خرجت وتعلّمها مانزل بعدها من قرآن وما قيل من حديث[1]والآية الكريمة الثّالثة تتحدّث في السّرايا.

وما كان المؤمنون لينفروا في السّرايا جميعاً،فهلّا نفر من كلّ فرقة من غير الخارجين في السّرايا طائفةٌ وفئةٌ ليتفقهوا في الدِّين بملازمة المصطفى ﷺ،ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم من الغزو،لعلّهم يحذرون الوقوع فيما نهى الله تعالى،ونهى رسوله ﷺ عن الوقوع فيه.

قال الضّحّاك:كان رسول الله ﷺ إذا غزا بنفسه لم يحلّ لأحدٍ من المسلمين أن يتخلّف عنه إلّا أهل الأعذار.وكان إذا قام وأسرى السّرايا لم يحلّ لهم أن ينطلقوا إلّا بإذنه[2].

---

[1] التّفسير البسيط١١/٨٨.

[2] تفسير ابن كثير٢/٤٠١طبعة دار إحياء التّراث العربيّ،بيروت١٣٨٨هـ ١٩٦٩م وطبعة الشّعب٤/١٧٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾

يا أيّها الّذين آمنوا قاتلوا الّذين يلونكم من الكفّار ويقربون منكم،وابدأوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً[1]وليجدوا فيكم غلظةً وشدّةً عليهم[2]واعلموا أنّ الله تعالى مع المتّقين بالتّسديد والتّأييد.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧﴾

---

[1] تفسير الطّبري١١/٥٢.

[2] تفسير الطّبري١١/٥٣.

وإذا ماأنزلت سورةٌ فَمِنْ هؤلاء المنافقين من يقول على سبيل الاستهزاء:أيّكم زادته هذه السّورة إيماناً.فأما الّذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله ﷺ فزادتهم إيماناً وهم يفرحون بها[١].

وأمّا الّذين في قلوبهم مرض النّفاق فزادتهم شكّاً إلى شكّهم ورَيْباً إلى رَيْبِهِمْ[٢]وكفراً إلى كفرهم[٣]وماتوا وهم كافرون.

أَوَلا يرى أولئك المنافقون أنّهم يُبْتَلون[٤]ويختبرون[٥]في كلّ عامٍ مرّةً أو مرّتين،بمعنى أنّ الله تعالى يختبرهم في بعض الأعوام مرّةً،وفي بعضها مرّتين[٦]بالقحط والشّدّة[٧]وبالسَّنة والجوع[٨]ثمّ لايتوبون إلى الله تعالى،ولاهم يتّعظون[٩].

وإذا ما أنزلت سورةٌ كريمةٌ فيها ذِكْرُهُمْ وقرأها النّبيّ ﷺ[١٠]نظر بعض المنافقين إلى بعضٍ وسألوا بلسان الحال أو بلسان المقال هل يراكم من أحدٍ ثمّ انصرفوا.صرف الله تعالى قلوبهم بسبب أنّهم قومٌ لايفقهون،ومن أجل أنّهم قومٌ لايفقهون عن مواعظه استكباراً ونفاقاً[١١].

---

[١] الجلالين.

[٢] تفسير ابن كثير ٤/١٧٦.

[٣] الجلالين.

[٤] الجلالين.

[٥] تفسير الطّبري ١١/٥٤وتفسير ابن كثير ٤/١٧٦.

[٦] تفسير الطّبري ١١/٥٤.

[٧] تفسير الطّبري ١١/٥٤.

[٨] تفسير الطّبري ١١/٥٤وتفسير ابن كثير ٤/١٧٦.

[٩] الجلالين.

[١٠] الجلالين.

[١١] تفسير الطّبري ١١/٥٥.

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾

لقد جاءكم أيّها النّاس ووصل إليكم فعلاً رسولٌ من أنفسكم ومن جنسكم وليس من أيّ جنسٍ آخر كالملائكة مثلاً.وهذا الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم عزيزٌ عليه عنتكم وهو دخول المشقّة عليكم والمكروه والأذى[1]حريصٌ عليكم بأن تدخلوا في دين الإسلام فينالكم الفضل العظيم والخير العميم،وبالمؤمنين عظيم الرّأفة،شديد الرّحمة.

فإن أعرضوا عنك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم فقل حَسْبِيَ الله تعالى وكافِيّ،لا إله إلا هو،ولامعبود بحقٍّ سواه.عليه وَحْدَهُ دون سواه توكّلت،وهو ربّ العرش العظيم،والملك الكبير سبحانه.

لقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية:

---

[1] تفسير الطّبري١١/٥٥.